

مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ

صَاحِبُ الصَّحِيحِ



سفير

من ١٠-١٤ سنة

أئمة الهدى

مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ

الإِمَامُ الحَافِظُ



كتبها

سلامة محمد سلامة

رسمها

عبد المرضى عبيد



شركة سفير

محمد، سلامة

أئمة الهدى «مسلم»/ سلامة محمد

١٢ ص، ٢٣ × ٢٣ سم

١- أئمة الهدى «مسلم»

٢- الأطفال - تعليم

أ- محمد، سلامة ب- العنوان

ديوى/٢٢٩

رقم الإيداع : ١٣٩٤٩ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : **ISBN:** 977 - 361 - 275 - 9

تَزَاحَمَ النَّاسُ فِى سَاحَةِ المَسْجِدِ الكَبِيرِ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مَوْطِئٌ لِقَدَمٍ، وَ تَطَلَّعَتْ أَبْصَارُ الجَالِسِينَ نَحْوَ ذَلِكَ الشَّيْخِ المَهِيبِ القَادِمِ نَحْوَ صَدْرِ الحَلْقَةِ، وَهُوَ يَشُقُّ طَرِيقَهُ وَسَطَ الزِّحَامِ فِى خُطًى وَئِيدَةٍ، وَنَفْسٍ هَادِئَةٍ، وَصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ، وقَدْ أَمْسَكَ فِى يَدِهِ وَلَدَهُ الصَّغِيرَ بِحَنَانٍ وَعَطْفٍ، بَيْنَمَا أَخَذَ الصَّغِيرُ يَتَحَسَّسُ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ، وَهُوَ يَرْمُقُ جُمُوعَ الحَاضِرِينَ بِنَظَرَاتٍ حَادَّةٍ ثَاقِبَةٍ تَنِمُّ عَنْ ذَكَاءٍ فِطْرِىٍّ، وَنَبَاهَةٍ مُبَكِّرَةٍ.

وَمَا إِنْ تَوَسَّطَ الشَّيْخُ حَلْقَةَ الدَّرْسِ، وَبَدَأَ فِى حَدِيثِهِ إِلَى النَّاسِ حَتَّى أَخَذَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِم وَاسْتَحْوَذَ عَلَى جَمِيعِ انْتِبَاهِهِم، فَرَاحُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَى كَلامِهِ العَذْبِ بِأُذُنٍ مُرْهَفَةٍ، وقَلْبٍ شَغُوفٍ ، وَفَرَغَ الإِمَامُ مِنْ حَدِيثِهِ الأُسْبُوعِىِّ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَقَدْ غَمَرَتْهُم السَّعَادَةُ ، وملأَتْ نُفُوسَهُمُ الفَرْحَةُ، وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِى رَوْضٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ حَوْلَ الشَّيْخِ إلا بَعْضُ تَلامِذَتِهِ المُقَرَّبِينَ ، فالْتَفُّوا حَوْلَ أُسْتَاذِهِمْ بِإِقْبَالٍ وَحُبٍّ، وَقَالَ أَحَدُهم وَقَدِ ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ عَلامَاتُ الشُّكْرِ والامْتِنَانِ لِذَلِكَ المُعَلِّمِ الجَلِيلِ:



– جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا يا إِمَامُ، فَقَدْ أَفَضْتَ عَلَيْنَا مِنْ عِلْمِكَ الكَثِيرِ، وَكُلَّ يَوْمٍ تَزْدَادُ مَكَانَتُكَ فِى قُلُوبِنَا وَقُلُوبِ جَمِيعِ النَّاسِ فِى «نَيْسَابُور» الحَبِيبَةِ (مدينَة فى إِقْلِيم خرَاسَان بإيران).

فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ فِى تَوَاضُعٍ جَمٍّ قَائِلا :

– واللَّهِ يَا وَلَدِى إِنْ كَانَ لِى مَكَانَةٌ وفَضْلٌ فِى قُلُوبِكُم فَهِىَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

وَنِعمِه عَلَيَّ، ثُمَّ بِفَضْلِ العِلْمِ؛ فإنَّهُ مَا عَلا شَأْنُ بِلادِنا، وشَأْنُ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا حَتَّى أَصْبَحَتْ مَنْبَعَ العُلَمَاءِ وَمَوْطِنَ الفُضَلاءِ إلا بِالعِلْمِ، فاحْرِصْ يَا بُنَيَّ، وَأَنْتُمْ يَاأَبْنَائِي عَلَى طَلَبِ العِلْمِ، فإنَّهُ زَادُكم فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَخُذُوا مِنْهُ بِحَظٍّ وَافِرٍ، ولا تَتَكَاسَلُوا عَنْهُ أَبَدًا.

وانْصَرَفَ الإمَامُ «الحَجَّاجُ بْنُ مُسْلِمٍ» إِلَى بيتِهِ فِي سَلامٍ وَأَمَانٍ، وَهُوَ يُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِ وَلَدِهِ الصَغِيرِ «مُسْلِمٍ»، وَيَقُولُ لَهُ بَاسِمًا:

وَأَنْتَ يَابُنَيَّ، لَقَدْ آنَ الأَوَانُ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ العِلْمِ الذِى سَلَكَهُ أَبُوكَ مِنْ قَبْلُ، وَلَسَوْفَ أُرْسِلُكَ غَدًا إِلَى كُتَّابِ البَلْدَةِ لِتَحْفَظَ القُرْآنَ الكَرِيمَ، وَتَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَقَالَ الصَّغِيرُ فِي فَرَحٍ: سَمْعًا وطَاعَةً يَا أَبتِ.

ومَا إِنْ تَنَسَمَ «مُسْلِمٌ» أَوَّلَ نَسَمَاتِ الصَّبَاحِ حَتَى كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الكُتَّابِ، لِيَجْلِسَ بَيْنَ زُمَلائِهِ الذينَ امْتَلأَتْ



بِهِمْ قَاعَةُ الدَّرْسِ عَنْ آخرِهَا، وَ أَقْبَلَ الأَطْفَالُ جَمِيعُهُم عَلَى الدَّرْسِ إِقْبَالا كَبِيرًا، وَكَأَنهم قَد جُبِلُوا جَمِيعًا عَلَى حُبِّ العِلْمِ، غَيْرَ أَنَّ الصَّغِيرَ «مُسلمًا» كَانَ نَابِهًا مُتَمَيِّزًا بَيْنَ أَقْرَانِه، بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الذَّكَاءِ، وَسُرْعَةِ الحِفْظِ والفَهْمِ، والرَّغْبَةِ الشَّدِيدَةِ عَلَى التَّحْصِيلِ والدَّرْسِ، فَتَفَوَّقَ عَلَى جَمِيعِ زُمَلائِه، واسْتَطَاعَ أَنْ يَحْفَظَ القُرْآنَ الكَرِيمَ كُلَّهُ، وَيَسْتَوْعِبَ كَثِيرًا مِنْ عُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ قَبْلَ أَيِّ تِلْمِيذٍ آخَرَ فِى الكُتَّابِ.

وَكَانَ الأَبُ الصَّالِحُ يُتَابِعُ وَلَدَهُ، وَيُشْرِفُ عَلَى تَعْلِيمِهِ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ، فَكَانَ كَثِيرًا مَا يُوَجِّهُهُ، وَيُشَجِّعُهُ، وَيُغْدِقُ عَلَيْهِ بِالهَدَايَا كُلَّمَا خَطَا خُطْوَةً فِى طَرِيقِ العِلْمِ، وَقَدْ رَأَى الإِمَامُ بِفِرَاسَتِهِ وَقُوَّةِ بَصِيرَتِهِ أَنَّ وَلَدَهُ وَاسِعُ الخُطَى فِى طَرِيقِ النُّبُوغِ وَأَنَّهُ اسْتَطَاعَ خِلالَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ أَنْ يَستَوعِبَ أَضْعَافَ أَضْعَافَ ما يَسْتَوْعِبُهُ مَنْ هُمْ فِى سِنِّهِ، فَفَكَّرَ الأَبُ أَنْ يُوَجِّهَ وَلَدَهُ نَحْوَ دِرَاسَةِ عِلمِ الحَدِيثِ النَّبَوِىِّ، ذَلِكَ العِلْمُ الشَّرِيفُ الذى كَانَ يَلْقَى اهْتِمَامًا كَبِيرًا، وَيَشْهَدُ نَشَاطًا واسِعًا فِى جَمِيعِ أَنْحَاءِ العَالَمِ الإِسْلامِىِّ فِى ذَلِكَ الوَقْتِ.

وَبَاتَ الصَّغِيرُ «مُسْلِمٌ» بَعْدَ أَنْ عَلِمَ بِرَغْبَةِ أَبِيهِ يَحْلُمُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ أَعلامِ الحَدِيثِ الذِينَ كانَ يَسْمَعُ عَنْ سِيرَتِهِم المَجِيدَةِ مِنْ أَبِيه، وَمَا يَلْقُونَه مِنْ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ مِنْ تَوْقِيرٍ وإِكْبَارٍ وَهَيْبَةٍ وَإِجْلالٍ لِعِظَمِ مَا يَحْمِلُونَ مِنْ عِلْمٍ.

وَكَانَتْ فَرْحَةُ «مُسْلِمٍ» عَظِيمَةً، وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى أَوَّلِ دُرُوسِهِ فِى عِلْمِ الحَدِيثِ مَعَ بِدَايَةِ عَامِ (٢١٨) هِجْرِيَّة، فِى حَلْقَةِ الإِمَامِ « يَحْيَى بْنِ بَكِيرٍ التَّمِيمِىِّ» مُحَدِّث «نَيْسَابُور» الكَبِير، وكَانَ عُمْرُ «مُسْلِمٍ» حِينَئِذٍ اثْنَتَى عَشْرَةَ عَامًا.

وَمَا إِنْ مَرَّتِ الأَيَّامُ عَلَيْهِ فِى تِلْكَ الحَلْقَةِ النَّابِهَةِ حَتَّى تَغَلغَلَ حُبُّ عِلْمِ الحَدِيثِ فِى قَلْبِهِ فَمَلأَ عَلَيْهِ جَوَانِحَهُ غِبْطَةً وسُرُورًا، وَلَمْ يَعُدْ «مُسْلِمٌ» يَكْتَفِى بِمَا يَسْمَعُهُ مِنْ شَيْخِهِ «يَحْيَى بنِ بَكِيرٍ» بَلْ كَانَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ حَلَقَاتِ الدَّرْسِ الأُخْرَى المُنْتَشِرَةِ فِى «نَيْسَابُور»، فَلَفَتَ أَنْظَارَ العُلَمَاءِ إِلَيْهِ،حَتَّى قَالَ عَنْهُ شَيْخُهُ «إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْة» أَحَدُ كِبَارِ الحُفَّاظِ وَ المُحَدِّثِين:

أَىَّ رَجُلٍ سَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الفَتَى؟!

وَلَمْ يَكُنْ «مُسْلِمٌ» مِمَّنْ يَلْتَفِتُونَ إِلَى كَلِمَاتِ الإِطْرَاءِ أَوْ تُطْرِبُهُ عِبَارَاتُ الثَّنَاءِ، وَلَمْ تَكُنْ فِطْنَتُهُ وَيَقَظَتُهُ وإِرَادَتُهُ



القَوِيَّةُ فِى حَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَقَدْ مَلأَ حُبُّ العِلْمِ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ، وَلَمْ تَعُدْ نَفْسُه تَرضَى بِالقَلِيلِ مِنه، فَقَدِ اسْتَطَاعَ خِلالَ عَامَيْنِ فَقَطْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مُعْظَمِ المُحَدِّثِينَ فِى «نَيْسَابُورَ» وَيَتَتَلْمَذَ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَمِعَ مِنْهُمْ، وَيَحْفَظَ عَنْهُم أَحَادِيثَهُم وَأَقْوَالَهم .

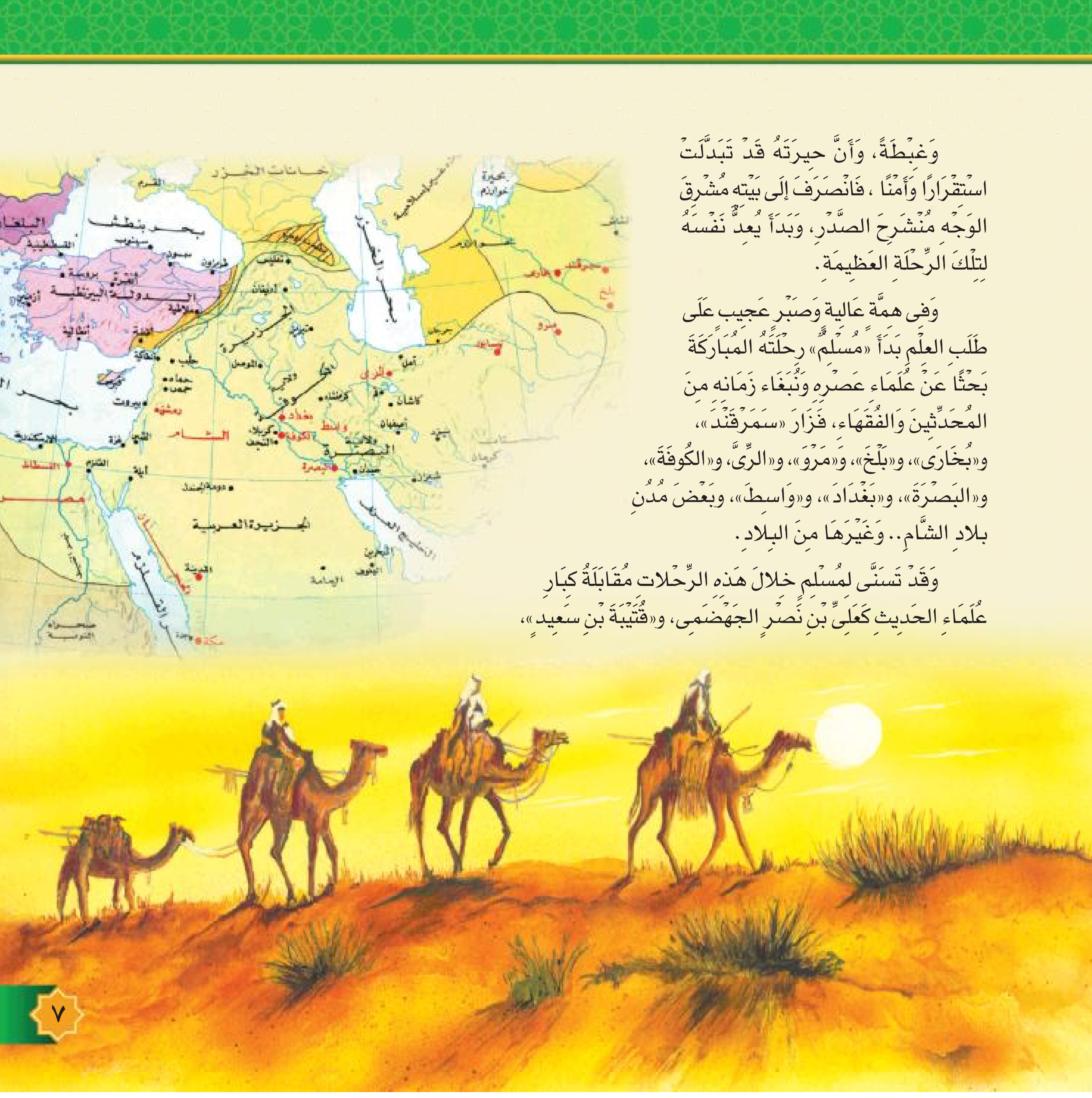
ولمَّا أَصْبَحَ «مُسْلِمٌ» فِى الرَّابِعَةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، سَمَتْ هِمَّتُهُ العَالِيَةُ أَنْ يَطْلُبَ الحَدِيثَ خَارِجَ بَلَدِهِ، فَاخْتَارَ أَنْ تَكُونَ «مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ» خَيْرُ البِقَاعِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَوَّلَ نَبْعٍ يَسْتَقِى مِنْهُ العِلْمَ، فَشَدَّ رِحَالَهُ إِلَيْهَا سَنَةَ (٢٢٠) هِجْرِيَّة لأَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ وطَلَبِ العِلْمِ، وَفِى هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبَارَكَةِ، قَابَلَ «مُسْلِمٌ» كَوْكَبَةً فَرِيدَةً مِنَ العُلَمَاءِ، كَانَ عَلَى رَأْسِهَا الإِمَامُ «القَعْنَبِىُّ»، والإِمَامُ «سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ» وَغَيْرُهُمَا مِنْ عُلماءِ «الحِجَازِ» الكِبَارِ، فَأَخَذَ «مُسْلِمٌ» عَنْهُم العِلْمَ، ثُمَّ قَفَلَ عَائِدًا إِلَى بَلَدِهِ سَالِمًا غَانِمًا مُوَفَّقًا .

وَفِى «نَيْسَابُورَ» العَرِيقَةِ وَفِى وَسَطِ خَانِ «مَحْمَش» ذَلِكَ السُّوقِ التِّجَارِىِّ الكَبِيرِ، كَانَ الفَتَى «مُسْلِمٌ» قَدِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ دُكَّانًا وَاسِعًا لِتِجَارَةِ أَفْخَرِ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ، وخِلالَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ اشْتَهرَ المَتْجَرُ شُهْرَةً وَاسِعَةً ، وَرَاجَتِ التِّجَارَةُ رَوَاجًا كَبِيرًا ؛ فَقَدْ كَانَ «مُسْلِمٌ» تَاجِرًا مَاهِرًا مُحِبًّا لِعَمَلِه، سَمْحًا أَمِينًا فِى التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ لا يَخْدَعُ وَلا يَغُشُّ ، وَلا يُغَالِى فِى أَخْذِ الرِّبْحِ، فَأَحَبَّهُ النَّاسُ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ إِقْبَالا كَبِيرًا ، وقَدْ رَبِحَ «مُسْلِمٌ» مِن تِجَارَتِه أَمْوَالا طَائِلَةً، وَمَلَكَ أَرَاضِى وَعَقَارَاتٍ كَثِيرَةً فِى شَتَّى نَوَاحِى «نَيْسَابُورَ»، فَكَانَ دَائِمَ الشُّكْرِ لِلَّهِ - تَعَالَى - عَلَى نِعَمِه ، كَثِيرَ الإِحْسَانِ والإِنْفَاقِ مِنْ مَالِهِ عَلَى فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، حَتَّى عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ بِلَقَبِ «مُحْسِنِ نَيْسَابُورَ».

ذَاتَ مَسَاءٍ جَلَسَ «مُسْلِمٌ» فِى مَتْجَرِهِ شَارِدَ الذِّهْنِ عَلَى غَيْرِ عَادَتِه، قَدْ فَارَقَتْ وَجْهَهُ الجَمِيلَ ابْتِسَامَتُهُ الحَانِيَةُ التِى طَالَمَا تَعَوَّدَ النَّاسُ عَلَيْهَا ،وَرَاحَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِى حَيْرَةٍ قَائِلا : لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ بِالمَالِ الوَفِيرِ،والتِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ،وَالحَيَاةِ الرَّغْدَةِ المُسْتَقِرَّةِ، وَأَرَى أَنَّهُ قَدْ حَانَتِ الفُرْصَةُ لِكَىْ أَتَفَرَّغَ لِطَلَبِ العِلْمِ، وَأَجُوبَ حَوَاضِرَ العَالَمِ الإِسْلامِىِّ طَلَبًا لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأُحَقِّقَ أُمْنِيَةً طَالَمَا حَلُمْتُ بِهَا مُنْذُ أَن بَدَأْتُ مَسِيرَتِى فِى طَلَبِ العِلْمِ.

وَأَحَسَّ «مُسْلِمٌ» بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الخُرُوجِ لِطَلَبِ الحَدِيثِ أَنَّ مَا كَانَ يَمْلأُ قَلْبَهُ مِنْ هَمٍّ وَغَمٍّ قَدْ تَبَدَّلَ فَرْحَةً





وَغبْطَةً، وَأَنَّ حيرَتَهُ قَدْ تَبَدَّلَتْ اسْتقْرَارًا وَأَمْنًا ، فَانْصَرَفَ إلَى بَيْته مُشْرقَ الوَجْه مُنْشَرحَ الصَّدْر، وَبَدَأَ يُعدُّ نَفْسَهُ لتلْكَ الرِّحْلَة العَظيمَة.

وَفى همَّة عَالية وَصَبْر عَجيب عَلَى طَلَب العلْم بَدَأَ «مُسْلمٌ» رحْلَتَهُ المُبَارَكَةَ بَحْثًا عَنْ عُلَمَاء عَصْره وَنُبَغَاء زَمَانه منَ المُحَدِّثينَ وَالفُقَهَاء، فَزَارَ «سَمَرْقَنْدَ»، و«بُخَارَى»، و«بَلْخ»، وَ«مَرْوَ»، و«الرِّيَّ»، و«الكُوفَةَ»، و«البَصْرَةَ»، و«بَغْدَادَ»، و«وَاسطَ»، وبَعْضَ مُدُن بلاد الشَّام.. وَغَيْرَهَا منَ البلاد.

وَقَدْ تَسَنَّى لمُسْلم خلالَ هَذه الرِّحْلات مُقَابَلَةُ كبَار عُلَمَاء الحَديث كَعَليِّ بْن نَصْر الجَهْضَمى، و«قُتَيْبَةَ بْن سَعيد»،

و« أحْمَدَ بْن حَنْبَلٍ»، و«خَالد بْن خَدَّاشٍ»، و«مُحَمَّدِ بْنِ مِهْرَانَ»، فَاغْتَنَمَ «مُسْلِمٌ» الفُرْصَةَ وَكَرَّسَ جُهْدَهُ للتَّتَلْمُذِ عَلَيْهِم، وَأَخْذِ العِلْمِ عَنْهُم، فَمَا كَانَ يُرَى إلا جَالِسًا إلَى شَيْخٍ يَستَمِعُ مِنْهُ أوْ يَتَلَقَّى عَنْهُ، أوْ مُنْقَطِعًا إلَى قَلَمِه وَأَوْرَاقِهِ يُدَوِّنُ مَا سَمِعَ مِنْ أحَادِيثَ، أوْ سَاهِرًا لَيْلَهُ يُرَتِّبُ ويُصَنِّفُ مَا دَوَّنَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فِيمَا بَعْدُ.

وكَانَ مِنْ ثِمَارِ هذَا الجُهْدِ العَظِيمِ أنِ اتَّسَعَتْ مَدَارِكُهُ، وَنَمَتْ خِبْرَتُهُ وَمَعَارِفُهُ، وَأَصْبَحَ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ مِمَّنْ يُعْرَفُونَ بالإجَادَةِ والإتْقَانِ.

وَمَرَّتِ الأيَّامُ وَآنَ لِلْمُسَافِرِ أنْ يَعُودَ إلَى بَلَدِهِ البَعِيدِ، حَيْثُ الأهْلُ والأصْحَابُ وَالذِّكْرَيَاتُ الجَمِيلَةُ، وَفِي مَتجَرِهِ بِخَانِ «مَحْمَش» جَلَسَ «مُسْلِمٌ» يَتَفَقَّدُ أحْوَالَ تِجَارَتِهِ، وَيَطْمَئِنُّ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ فِيهَا، فَرَاجَتِ التِّجَارَةُ بِوُجُودِهِ رَوَاجًا عَظِيمًا، وَحَقَّقَتْ نَجَاحَاتٍ مُسْتَمِرَّةً، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يُمَثِّلُ عَائِقًا أمَامَ «مُسْلِمٍ» مِنْ أنْ يُبَلِّغَ مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ إلَى النَّاسِ، حَتَّى أنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الأحْيَانِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَصْبَحَ المَتْجَرُ شَبِيهًا بِمَرْكَزٍ عِلْمِيٍّ صَغِيرٍ يَقْصِدُهُ تَلامِذَتُهُ المُقَرَّبُونَ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ.

وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ الإمَامُ «مُسْلِمٌ» يُحَدِّثُ تَلامِذَتَهُ بِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ، فَاسْتَأْذَنَهُ «أحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ» تِلْمِيذُهُ، وَرَفِيقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ رِحْلاتِهِ إلَى طَلَبِ العِلْمِ قَائِلا: أرْجُو أنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ يَاشَيْخَنَا إلَى تَأْلِيفِ كِتَابٍ يَجْمَعُ مَا صَحَّ مِنْ أحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أرْكَانِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ،حَتَّى يُسَهِّلَ عَلَيْنَا وَعَلَى عَامَّةِ النَّاسِ دِرَاسَةَ هَذَا العِلْمِ الشَّرِيفِ.

فَنَظَرَ الإمَامُ إلَى تِلْمِيذِهِ النَّجِيبِ نَظْرَةَ حُبٍّ وإعْجَابٍ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ قَائِلا:

– وَيْكَأَنَّكَ يَا «أحْمَدُ» تَتَحَدَّثُ بِمَا كَانَ يَجِيشُ فِي نَفْسِي مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ!! وَأَرْجُو أنْ يَكُونَ كَلامُكَ بَاعِثًا لِذَلِكَ الحُلْمِ الكَبِيرِ الذِي يُرَاوِدُنِي مُنْذُ بَدَأْتُ أطْلُبُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَانْفَضَّ المَجْلِسُ، وَعَادَ الإمَامُ «مُسْلِمٌ» إلَى بَيْتِهِ، ومَا زَالَتْ تَتَرَدَّدُ فِي أُذُنِهِ كَلِمَاتُ تِلْمِيذِهِ النَّجِيبِ، وَفِي رُكْنٍ مِنْ أرْكَانِ حُجْرَتِهِ، وعَلَى سِرَاجٍ ضَوْءٍ خَافِتٍ كَانَ الإمَامُ قَدِ اتَّخَذَ قَرَارَهُ، وعَكَفَ عَلَى أوْرَاقِهِ يَقْرَأُ وَيُدَوِّنُ لِتَكُونَ هَذِهِ



هِى البِدَايَةَ المُبَارَكَةَ فِى هَذَا العَمَلِ الكَبِيرِ فِى مَطلَعِ العَامِ الخَامِسِ والثَّلاثِين بَعْدَ المِائَتَيْنِ مِنَ الهِجْرَةِ ، وكَانَ عُمْرُ الإمَامِ آنَذَاكَ تِسْعًا وعِشْرِينَ سَنَةً.

وكَانَ الأَمْرُ يَتَطَلَّبُ مَزِيدًا مِنَ الرِّحْلَةِ بَحْثًا عَنْ الحَدِيثِ فِى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِها ، فانْطَلَقَ «مُسْلِمٌ» يَجُوبُ الأَقْطَارَ، وَيَطُوفُ بالأَمْصَارِ فرَحَلَ إلَى «الرِّىِّ» مَرَّاتٍ، ودَخَلَ مُدُنَ «العِرَاقِ»، وَقَصَدَ «مِصْرَ» وغَيْرَهَا مِنَ البِلادِ.

وَبَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا مِنَ الجُهْدِ وَالتِّرْحَالِ عَبْرَ آلافِ الأَمْيَالِ حَطَّ الإمَامُ رِحَالَهُ فِى بَلَدِهِ ، وَفِى جُعْبَتِه ثَلاثمَائَةُ أَلْفِ حَدِيثٍ، فَعَكَفَ الإمَامُ عَلَيْها يَنْتَقِى وَيُهَذِّبُ وَيُصَنِّفُ وَيُرَتِّبُ أحَادِيثَ كِتَابِه فِى أَبْوَابٍ، مُتَحَرِّيًا فِى كُلِّ ذَلِكَ الدِّقَّةَ والإخْلاصَ، والأمَانَةَ والإتْقَانَ؛ فَمَا كَانَ يَضَعُ فِى كِتَابِهِ حَدِيثًا إلا مِمَّنْ لَقِيَهم وَسَمِعَهُم بِأُذُنِهِ مِنْ رِجَالِ الحَدِيثِ



المَشْهُود لَهُم بِالصِّدْقِ والأَمَانَةِ والثِّقَةِ والاسْتِقَامَةِ.

وَعِنْدَمَا أَهَلَّ عَامُ (٢٥٠) هِجْرِيَّة، كَانَ الإِمَامُ «مُسْلِمٌ» قَدْ فَرَغَ مِنْ تَأْلِيفِ كِتَابِهِ جَامِعًا بَيْنَ دَفَّتَيْهِ نَحْوَ (٧٤٠٥) أحَادِيثَ صِحَاحٍ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وسمَّاهُ «المُسْنَدَ الصَّحِيحَ».

وَمَا إِنْ خَرَجَ الكِتَابُ إِلَى النُّورِ حَتَّى أَشَادَ بِهِ العُلَمَاءُ، وَامْتَدَحَهُ المُحَدِّثُونَ وَالفُقَهَاءُ، وَشَهِدَ لَهُ الجَمِيعُ بِأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ كُتُبِ السُّنَّةِ تَبْوِيبًا، وَمِنْ أَحْسَنِهَا سِيَاقًا وتَرْتِيبًا.

وَكَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الإِمَامِ «مُسْلِمٍ» أَنْ رَحَلَ إِلَى «نَيْسَابُور» فِى هَذَا العَامِ المُبَارَكِ عَامَ (٢٥٠) هِجْرِيَة إِمَامُ الحُفَّاظِ والمُحَدِّثِينَ الإِمَامُ «البُخَارِىُّ»، فَلَقِىَ مِنَ الحَفَاوَةِ والتِّرْحَابِ مَا يَلِيقُ بِقَدْرِهِ وَمَقَامِهِ،حَتَّى إِنَّ الإِمَامَ «مُسْلِمًا» قَالَ مُتَعَجِّبًا : مَا رَأَيْتُ وَالِيًا وَلا عَالِمًا اسْتَقْبَلَهُ أهلُ «نَيْسَابُورَ» مِثْلَمَا اسْتَقْبَلُوا إِمَامَنَا «البُخَارِىَّ».

وَجَلَسَ «مُسْلِمٌ» وَهُوَ مَنْ تَخَطَّى الرَّابِعَةَ والأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ تِلْمِيذًا لِشَيْخِهِ «البُخَارِىِّ» يَنْهَلُ مِنْ عِلْمِهِ،وَيَسْتَفِيدُ مِنْ خِبْرَتِهِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ كُتُبَهُ وَمُؤَلَّفَاتِهِ، وَيَسْتَرْشِدُ بِرَأْيِهِ وَيَسْتَفِيدُ مِنْ خِبْرَتِهِ، وكَانَ مِنْ طِيبِ نَفْسِهِ وَعَظِيمِ خُلُقِهِ، أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَىْ شَيْخِهِ كَالتِّلْمِيذِ الصَّغِيرِ، لا يَتَحَدَّثُ إِلا بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ، وَلا يَسْأَلُ إِلا فِى أَدَبٍ بَعْدَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أُسْتَاذَهُ، وَحَدَثَ أَنْ سَمِعَ الإِمَامُ «مُسْلِمٌ» شَيْخَهُ «البُخَارِىَّ» يُجِيبُ أَحَدَ السَّائِلِينَ عَنْ حَدِيثٍ، فَقَامَ الإِمَامُ «مُسْلِمٌ» بَعْدَ أَنْ سَمِعَ رَدَّ شَيْخِهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ مُعْتَرِفًا بِفَضْلِ أُسْتَاذِهِ عَلَيْهِ وعَلَى جَمِيعِ عُلَمَاءِ الحَدِيثِ:

دَعْنِى أُقَبِّلُ رِجْلَيْكَ، يَا أُسْتَاذَ الأَسْتَاذِينَ ! وَسَيِّدَ المُحَدِّثِينَ ! وَطَبِيبَ الحَدِيثِ فِى عِلَلِهِ.

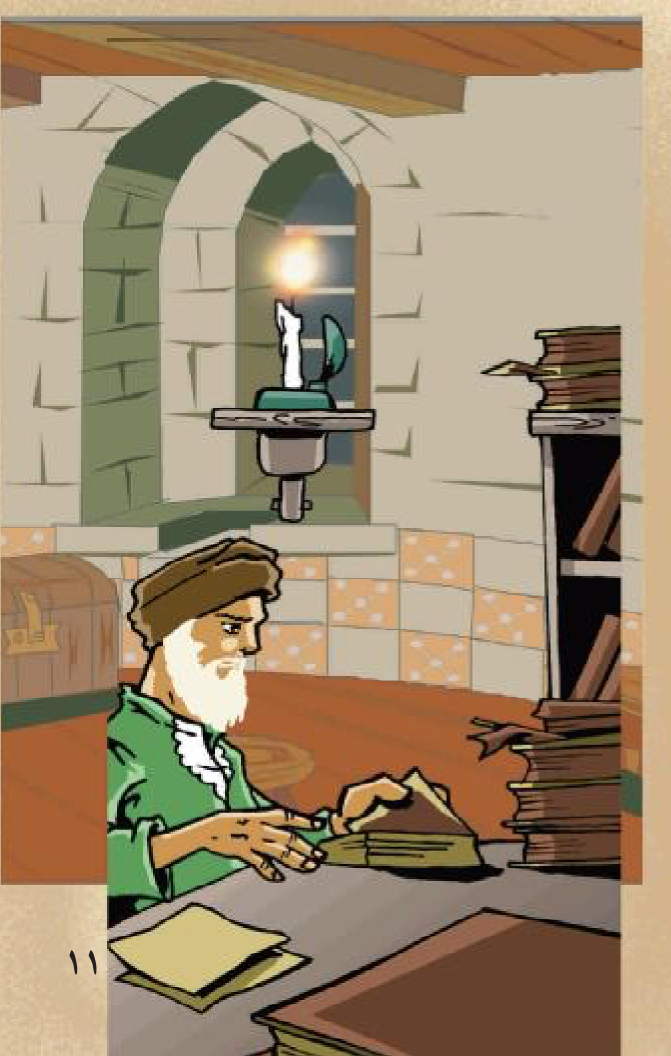
وَبَعْدَ أَنْ رَحَلَ الإِمَامُ «البُخَارِىُّ» عَنْ «نَيْسَابُورَ» بَعْدَ سِتِّ سَنَوَاتٍ قَضَاهَا بَيْنَ أَهْلِهَا مُعَلِّمًا وَأُسْتَاذًا ، كَانَ «مُسْلِم» خِلالَهَا مُلازِمًا لِشَيْخِهِ مُلازَمَةً تَامَّةً ، ظَلَّ «مُسْلِمٌ» مُجَاهِدًا، يُنَافِحُ وَيُدَافِعُ، وَيَرُدُّ كُلَّ كَذِبٍ وَافْتِرَاءٍ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ .

وَكَانَ مِنْ ثِمَارِ جُهْدِهِ العَظِيمِ أَنْ أَلَّفَ كُنُوزًا مِنَ الكُتُبِ وَ المُؤَلَّفَاتِ فِى مَجَالِ عِلْمِ الحَدِيثِ كَانَ لَهَا عَظِيمُ النَّفْعِ عَلَى العُلَمَاءِ قَبْلَ المُتَعَلِّمِينَ كَكِتَابِ «الأَسَامِى وَالكُنَى» ، وَ«أَسْمَاءِ الرِّجَالِ»، و« التَّمْيِيز» ، و« طَبَقَاتِ التَّابِعِينَ» ، و«طَبَقَاتِ الرُّوَاةِ» ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .



وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ بُلُوغِ الإمَامِ «مُسْلِمٍ» سِنَّ الخَامِسَةِ وَالخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهِ، إلا أَنَّه كَانَ عَالِىَ الهِمَّةِ كَثِيرَ الحَرَكَةِ لا يَفْتُرُ أَبدًا عَنْ حَلْقَةِ دَرْسِهِ أَوْ مُتَابَعَةِ أَحْوَالِ بَيْتِهِ أَوْ تِجَارَتِهِ، وَفِى أَحَدِ الأَيَّامِ كَانَ الإمَامُ «مُسْلِمٌ» يَجْلِسُ بَيْنَ تَلامِذَتِهِ فَسَأَلَهُ أَحَدُ الجَالِسِينَ عَنْ حَدِيثٍ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ الإمَامُ، فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا، حَتَّى كَادَ الحُزْنُ يَعْصِفُ بِقَلْبِه، وَانفَضَّ المَجْلِسُ وَعَادَ الإمَامُ إلى بَيْتِهِ وَنَفْسُهُ تَقْطُرُ مَرَارَةً وَغمًا، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ وَبَنَاتِه، وَهُوَ يُوقِدُ سِرَاجَ غُرْفَتِه:

لا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُنَّ عَلَىَّ غُرْفَتِى...



وبَاتَ الإمَامُ «مُسْلِمٌ» لَيْلَتَهُ يَبْحَثُ عَنْ ذَلِكَ الحَدِيثِ حَتَّى وَجَدَهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ فَاضَتْ رُوحُه الطَّاهِرَةُ إِلَى بَارِئِهَا، وسَكَنَ الجَسَدُ الشَّرِيفُ وصَاحِبُهُ يُجَاهِدُ فِى مِحْرَابِ العِلْمِ حَتَّى النَّفَسِ الأَخِيرِ!!!

وكَانَتْ وَفَاتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَشِيَّةَ يَوْمِ الأَحَدِ المُوافِقِ (٢٥) مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سَنَة (٢٦١) مِنَ الهِجْرَةِ، ودُفِنَ الإمَامُ «مُسْلِمٌ» فِى مَقْبَرَتِهِ فِى مَيْدَانِ «زِيادٍ» بِنَصْرِ آبَادَ بِنَيْسَابُورَ، فَرَحِمَ اللَّهُ الإمَامَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ...

آمين.

مُسْلِمٌ فِى سُطُورٍ

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ: هُوَ «مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ بنِ مُسْلِمِ بنِ وَرْدِ بْنِ كُوشَاذَ القُشَيْرِىُّ (مِنْ بَنِى قُشَيرٍ وَهِىَ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ)، وَكُنْيَتُه «أَبُو الحُسَيْنِ».

أَبُوهُ: «الحَجَّاجُ بنُ مُسْلِمٍ» ، كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ «نَيْسَابُور» المَعْرُوفِينَ.

زَوْجَتُهُ : كَانَتْ زَوْجَةُ الإِمَامِ ابْنَةَ الشَّيخِ «عَبْدِ الوَاحِدِ الصَّفَّارِ»، وكَانَ مِنْ رِجَالِ العِلْمِ.

أولادُهُ : كَانَ للإِمَامِ عَائِلَةٌ تَتَكَوَّنُ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ البَنَاتِ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ –سبْحَانَهُ– ذُكُورًا .

مَوْلِدُهُ : وُلِدَ الإمامُ « مُسْلِمٌ» سَنَةَ (٢٠٦) هِجْرِيَّة (٨٢١) ميلادية، وكَانَتْ وِلادَتُهُ فِى خِلافَةِ «المَأْمُونِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ» العَبَّاسِىِّ.

صِفَاتُهُ الجِسْمِيَّةُ: كَانَ الإِمَامُ «مُسْلِمٌ» تَامَّ القَامَةِ ، حَسَنَ الوَجْهِ.

مَكَانَتُهُ وأَلْقَابُهُ العِلْمِيَّةُ: الإِمَامُ الحَافِظُ ، حُجَّةُ الإِسْلامِ ، صَاحِبُ المُسْنَدِ الصَّحِيحِ ، أَحَدُ حُفَاظِ الدُّنْيَا الأَرْبَعَةِ، وَهُمْ « أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِىُّ» ، و «الدَّارِمِىُّ» ، و «البُخَارِىُّ» ، و«مُسْلِمٌ» وعُرِفَ هُوَ وَشَيْخُهُ «البُخَارِىُّ» بِلَقَبِ « الشَّيْخَيْنِ» .

عَصْرُهُ : عَاشَ «مُسْلِمٌ» نَحْوَ خَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا (٢٠٦هـ – ٢٦١هـ= ٨٢١م – ٨٧٥م)، وكَانَ العَالَمُ الإِسْلامِىُّ فِى ذَلِكَ الوَقْتِ تَحْتَ حُكْمِ الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ.





شُيُوخُهُ : أَخَذَ «مُسْلِمٌ» العِلْمَ عَنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ جِدًا مِنْ كِبَارِ أَئِمَةِ الحَدِيثِ ، مِنْ أَشْهَرِهِمْ : الإِمَامُ «البُخَارِىُّ»، و«يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِىُّ»، و « القَعْنَبِىُّ»، و« أَحْمَدُ بْنُ يونُسَ»، و «إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُوَيْسٍ» ، و « أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ»، و «حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى» ، و «مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى» ، و «أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِىُّ» ، و «إِسْحَاقُ بْنُ راهَوَيْه» وغَيْرُهم .

تَلامِيذُهُ : « أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِىُّ» ، و « ابْنُ خُزَيْمَةَ» ، و« يَحْيَى بْنُ صَاعِدٍ»، و«مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَد» ، و «إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ»، و«مَكِّى بْنُ عَبْدَانَ» ، و «أَبُو بَكْرٍ الجَارُودِىُّ»، و «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ الفَرَّاءُ»، و «أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ»، و «إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِى طَالِبٍ»... وَغَيْرُهُم.

كُتُبُهُ : كَانَ الإِمَامُ «مُسْلِمٌ» مِنَ المُكْثِرِينَ فِى التَّصْنِيفِ فِى عِلْمِ الحَدِيثِ، ممَّا يَدُلُّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الإِمَامُ مِنْ تَمَكُّنٍ ودِرَايَةٍ وَفَهْمٍ وَعِلْمٍ غَزِيرٍ،وَمِنْ أَهَمِّ كُتُبِهِ وَأَشْهَرِهَا : «المُسْنَدُ الصَّحِيحُ » أَوْ مَايُعْرَفُ بِاسْمِ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، وهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مُؤَلَّفَاتِه وَيُعَدُّ أَحَدَ أَصَحِّ كِتَابَيْنِ بَعْدَ القُرآنِ الكَرِيمِ ، وَ«الأَسْمَاءُ والكُنَى» و «التَّمْيِيزُ» ، و «الجَامِعُ» ، و«طَبَقَاتُ التابِعِينَ» ... وغَيْرُهَا .

وَفَاتُهُ : تُوُفِّىَ الإِمَامُ «مُسْلِمٌ» عَشِيَّةَ يَوْمِ الأَحَدِ (٢٥) مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ (٢٦٠) هِجْرِية الموافق (٦) مِنْ مَايُو (٨٧٥) ميلادِيَّة، ودُفِنَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، ومَقْبَرَتُه فِى رَأْسِ مَيدانِ «زِيادٍ» بِنَصْرآبَادَ بِنَيْسَابُورَ.

